ثورة ٢٣ يوليو في محكمة «مواقف»

بقلم مطاع صفدي

في مناخ الانهزام تردّ الجماعة عن نفسها مسؤولية الانهزام بالانطلاق الى محاولات التنصل من مؤسساتها الموضوعية السابقة ، التي تصبح موضع الاتهام والتجريح، ويتحول الاتهام الى صور من الممارسة النقدية تختلف شكلا ومضمونا، ، بحسب المستويات الاجتماعية والفكرية وجبهات الصراع السياسي ، التي تتسابق جميعها الى تبني المواقف النقدية .

الا ان آلية النقد بصورة عامة تقوم على اسس متشابهة ، فهي من ناحية تريد ان تعزل الحاضر او المستقبل النابع من الحاضر الراهن ، عن الماضي الموصوم بالهزيمة . وهي من ناحية ثانية تتصور انها ، في عملية العزل هذه ، تبرىء اصحابها من تبعة العلاقة مع المجتمع المهزوم ، وتنفي عنهم بالتالي مدى المسؤولية عما وقع، وتكل اليهم في الوقت ذاته ، أفضلية الدعوة الى ما يجب ان يحدث ويقع تعويضا عن الهزيمة والمنهزمين .

وفي مناخ الهزيمة العربية توالت موجات النقد من مختلف الاطراف ، وظهرت اصوات عديدة بلهجات متنوعة ، وفي مجال الكلمة ، وهو موضوعنا ، تعرضت المؤسسات الثورية القائمة من حزبية وحكومية ، الى حملات ، شنها ثوريون سابقون ، وكتاب مستجدون وجدوا في لحظة الهزيمة منبرا تاريخيا ، يفيدون من اضوائه، اكثر مما يشعون به هم من اضوائهم على مشكلات الهزيمة وتجاوزها .

ولكن ليس معنى هذا ان صدمة الهزيمة لم تولد نزعة حقيقية للمراجعة الشاملة واعادة التقييم ، غير ان المشكلة هي أن هناك من يستبق عملية النضج، فيهز الشجرة لتساقط الاثمار الفجة ، ويتذوقها المتذوقون ، فاذا ما نضجت الثمار الاخرى ، لم يبق لها الا هامش الذوق والمتذوقين ،وفي كل مرة تقدم لنا ظروفنا الموضوعية مناسبة لتولد مؤسسة حقيقية ، يسبقها المسرح والمتمسرحون ، وتتحول المؤسسة الى شبه مؤسسة . وبذلك تحتفظ آلية المجتمع المتخلف باولويتها في كل المجالات، حتى عندما يكون المجال هو ساحة حرب ضدها .

فلو حاولنا الان ان نصنف اهداف النقد في هذه الساحة الملتبسة ، وجدنا ان من اكثرها اغراء لفئة من الاقلام ، ثورة ٢٣ يوليو . ودون ان نتعرض لهذه الجبهة، التي يتضامن اعضاؤها يوما بعد يوم ، في كل مظاهرها التي تتبدى من خلالها عبر الكتب والمجلات والصحف ، يهمنا ان نقف عند عينة قريبة منها ،اجتمعت في العدد الاخير من مجلة (مواقف) لصاحبها ادونيس (علي احمد سعيد).

واول ما يلفت النظر في هذا العدد ـ وقد كرسه صاحب المجلة لمحاكمة ثورة ٢٣ يوليو ـ هو ان مقالا وحيدا حاول ان يتضامن موضوعيا وبطريقة كاتبه الخاصة مع هذه الثورة ، وهو المقال الذي كتبه نديم البيطار ، احد نجوم الموجة الجديدة من مفكري ما بعد الهزيمة ،في حين ان بقية المقالات انصبت على تفنيد آراء البيطار، وصولا الى تفنيد الثورة الناصرية بأساليب مختلفة ، اتفقت جميعها على رفع لواء العملية والموضوعية ، والشعارات النقدية (الثورية) التي جاء بها قاموس هذه الموجة .

ويعترف صاحب « مواقف » انه استكتب البيطار مقاله ، ثم عرضه على عدد من الكتاب قبل ان ينشره، فأبدى كل منهم اعتراضاته في صيغة مقالات ، نشرت هي ومقال البيطار في عدد واحد . ولعل البيطار قد فوجىء ، وهو يرى نفسه محاطا باربعة او خمسة مقالات اخرى ، كتبت كلها ردا عليه ، وعلى ما ابداه من دعوة الى « الارتباط بثورة ٢٣ يوليو) على حد تعبيره .

ان قراءة مقال البيطار ، وملاحظات صادق العظم عليه ، ومقال اخر لالبير منصور وهما ابرز ردين على

البيطـار ، توضح معالم الصورة لنوع من القبول «العلمي الموضوعي » للثورة الناصريـة ولنوع اخر من المعارضـة « العلمية الموضوعية » لها . فالقبول والمعارضة يدعيـان الحديث باسـم هذه المقاييس الشعارية : العلميةوالموضوعية ومع ذلـك فالتناقض قائم بينهمـا ، فهـل هـو تناقض « علمـي موضوعي » ام انه من العلمية والموضوعيةالاثبات والنفـي لموضوع واحـد في وقت واحد ؟

لنكتشف هذا الاحراج الفلسفي ـ والكتاب الثلاثـة اساتذة فلسفـة او اثنان منهـم على الاقـل كمـا اعلـم ـ لا بد ان نكتشف « المنهج » الذي يستند اليـه كل منهم فـي موضوعـه .

ان الدكتور البيطار كعادته في كتبه ، يحب دائمـا ان يعالج موضوعاته من خلال كثافـة معينة من آراءالمراجع المختلفـة ، وهـو بذلـك يثبت صفـة البحث الجامعـي فيمـا يكتب . ولكنه كـان غالبا ما تطغى كثافة المراجع واقوال المفكرين ، مـن كل حدب وصوب، على جوهـر الموضوع الاصلي، فيخرج القارىء معجبا بمعرض افكـار الاخرين ، دون ان تظل فيذهنه سوى اصداء التقريرات التي يكررهـا الكاتب،وهي كلهـا مشتقة من مصطلحـات الثورية والاجتماعية والعلمية والوحدوية والتحرريةالخ..

وفي هذا المقال بالذات يستنـد الكاتب الى منهج تقريري ، غيـر قابل للمناقشة ، يعرضه في خمس نقاط، تتلخص في ان كل نظام سياسي ينشأ ويتطور عن طريق القوة والغزو ، فـان تطوره ينبغي ان يؤلف له قاعدة تتألف وتتحـد حولهـا الجماعـة التي ترتبط به . وان المهم ليس نوع النظام السياسي ولكـن المهم هو وجوده الذي يخلق فيمـا بعد تقليـدا وعادات تؤكـد جذوره وتؤلف وحدته النفسية . ثم لا بد اخيـرا من وجود نموذج أعلى للانسان السياسي تقلده الجماهير وتتبعه . وهو يعنـي وجـود الزعيـم القائـد .

وواضح ان هذا التحليل لنشوء النظام السياسـي ووحدته وزعيمه ، يستند في الاساس الى موقف الفكـر الاجتماعي الانكلـو الاميركي العام الذي يعطي الاهميـة الاساسيـة للعوامل الخارجيـة الطارئة ، ويهمل العوامل الحركيـة المنبعثة من طبيعـة التركيب الاجتماعي، وصراع المصالح الطبقيـة والنوازع الحضارية . والدكتور البيطار يطبقـه على ثورة ٢٣ يوليو بصورة حاسمة نهائية ،ليبرهن على ان هذه الثورة هي قاعدة الثوريـة الوحدوية ، وان زعيمهـا هو النمـوذج الاعلى الذي (تتشخصن) فيـه آمالهـا ـ والتعبير للكاتب ـ وبعد ذلك ينافح الدكتـور البيطار عن هذا النموذج النظري التطبيقي بأسلوبه القطعي الحاد ، ويتحدى الاخرين ـ وهم الشيوعيون غالبا ـ بـان يقدمـوا له قاعدة وحدويـة افضل من ثورة ٢٣ يوليو، وزعيمـا تتشخص فيه آمال الامـة افضل مـن جمـال عبدالنـاصر .

والحقيقـة ان نديم البيطـار قد شحن مقاله بجملة ملاحظات صائبة ، الا انهـا مبعثرة لا ينتظمها بناء متكامل من المقدمـات والنتائج، وهو خوفا من ان يرمى بالغيبيـة والمثاليـة وسواها ، تحاشى بقدر الامكـان الخوض فـي طبيعـة البنيـة الذاتية للامة التي تؤلف وحدتها المعنوية كمـا انه اخرج بحثه عن السياق الدينامي للظروف التي تحيط بالثوريـة العربيـة وتدفعهـا الى الوحدة . وجعل من ثورة ٢٣ يوليو ثورة وحدويـة كمسلمة نهائية . كمـا جعل ثوريـة الامة العربيـة بالضرورة وحدوية .وهو صادر على الموضوعيتين ، كمـا يقول المناطقـة ، بـدون برهـان ، وبنى عليهمـا فكرة افضلية ثورة ٢٣ يوليـو وافضليـة زعيمها بصورة اطلاقية .

وعلى الرغم من انني لا اناقض الدكتور البيطار فيما يثبت ، فانني اشعـر ان منطلقاتـه الفكريـة ، وتسلسل المقدمـات ، واساليب البرهان التي اتى بها ، ليدلل علـى صحـة تلك الحقائق ، لا تتطابق مع موضوعها ، او انهـا تظل غالبا في مرتبة النظر ، ولا تتفاعل مع معطياتالتجربة العربية من داخلها . وهي تلك الخاصة التي طبعت كتابات الدكتـور البيطـار فيمـا يتعلق بالايدلوجية العربيـة دائمـا .

ولو اخذنا بمسلمات الكاتب لوجب اولا البرهان ان ثورة ٢٣ يوليـو كانت منذ بدايتهـا ثورة وحدوية ،وهذا ما يخالفسياقها التطوريالذي سارت فيه من ثورة وطنية الى ثورة قوميـة الى ثورة قومية تقدمية .

وكذلك يجب البرهان ثانيا ان ثورة ٢٣ يوليو هي والثورة العربيـة مرادفـان لشيء واحد ، فـي حين ان التحليل العلمـي يشيـر الى ان الثورة المصرية حاولت ان تعطي افضل تعبيـر في ذاتهـا عن الثورة العربية ، اوانها كانت تسعى الى قيـادة الثورة العربية . وينبغي ثالثـا البرهـان علـى ان الثورة المصريـة هي وزعيمها حقيقة واحدة ، في حيـن ان ظروف الهزيمة قد برهنت على ان شخصيـة جمال عبدالناصر لم تكـن هي كلهـا شخصية الثورة المصرية ، وان رئيسها كـان في احسن الاحـوال رمزا لتيار فيهـا ، تصارعه تيارات اخرى الى حد شرخ الثورة واجهاضهـا .

والدكتور البيطار بعد ذلك دمج التقييم الايجابـي لثورة ٢٣ يوليـو بضرورة (الارتباط المرحلي التكتيكـي بثورة ٢٣ يوليـو كقاعـدة للعمل الوحدوي الثوري)على حـد تعبيـره ، ولكنه لم يوضح هـذا الارتباط ،مضمونه وطريقته ، وتركه شعارا ، انتقده الذيـن ردوا علىالبيطار ورفضـوا قبوله لثورة ٢٣ يوليو ، بهذا الاعتبار وسواه.

وتبقى مسألة (الشخصنة) التي حاول فيها البيطار ان يفلسف هـو الاخـر زعامة عبدالناصر فبررها بذلـك المبـدأ الاصطلاحي ، اي جاءهـا من مستوى المثل، ولـم يأتهـا من مستوى السياق الواقعي الاجتماعي التي نمت

فيهـا زعامة عبدالناصر ، واخذت دورهـا مـن خلاله . فالدكتور البيطار ، على الرغم من شدة احتفائه بالعلمية ، فانه يبدو غالبـا مفكرا ارسطاليسيا ، يبهره البرهان على الجزئي بالكلي ، فيذهب دائمـا من العام الـى الخاص . وهذا العام ليس قانونـا استقرائيـا ، بقدر مـا هو تعميم نظري مجرد يصادر على نـوع من المسلمـات الاولية . والمسلمة التي يستند عليهـا في تبرير شخصنة عبدالناصر هي المبدأ الذي نص عليه في مطلع مقاله ، والقائل بان كل نظـام لا بـد لـه من (نموذج عام يتمثل في قائد كبيـر او اكثر) على حد تعبيره . ففضلا عـن ان هذا (المبدأ) ليس مسلمة ، لانه قابل للنقاش والرد عليه من وجهـات نظريـة متعددة ، فانه لا ينطبق تمامـا على طبيعةالزعامة الناصرية ، الى جانب انه يهمـل اهمالا فادحـا تاريخية هذه الزعامة ، ويجردهـا مـن ظروفهـا وزمانها ومكانها ، وهي الشروط الموضوعيـة التي ينبغي ان تفسر بها زعامة عبدالناصر اولا ، ليكشف عن دورهـا الواقعي وقيمتـه الحقيقيـة .

نخلص الى القول ، ان الطريقـة التجريدية التـي عالج بهـا الدكتور البيطار حقيقة الثورة الناصرية وزعامتها ودورهـا التاريخي ، قد جعلتهـا اشبـه بالاسطورة ، بالرغم من مختلف التحفظات التي كـان يبديها الكاتب هنا وهناك . وهذا ما أعطى لنـاقديه سلاحـا مباشرا ضـده وضد المبادىء التي يريـد الدفاع عنها .

وبذلك بدت الثورة الناصرية فقيرة من مقومـاتهـا الخاصة ، فارغة مـن تجربتهـا التاريخية ،، بحاجة الـى ان تعلل بالمبادىء الاستنتاجية ليتم قبولهـا عقليا .

وبالمقابل فقـد سمح موقف البيطار بتوليد الموقف المناقض عند ناقديه ، فاعتمدوا على الواقع التجريبـي ليبرهنوا على امكانيـة تجاوز الثورة الناصريـة وزعيمها معـا .

وهذا مـا سمح لصادق العظم ان يأخذ علـى مقال البيطـار اهماله لمنهج التحليل الطبقي، وفراره من تقرير طبيعـة الدولة الوحدوية التي ستنشأ حول قاعدة الثورة الناصرية . وهذا ما اعطى لصادق العظم بالتالي حجة الرد على البيطـار كذلك ،بفكرة هامشية استخدمها هو عرضا، فاذا بالعظم يصطادها ويرميهـا الى مصدرهـا ، وهي ان الثورة الناصريـة ستتحول عنهـا جماهيرها ،ان هـي اصيبت بنكسـة اخرى او قبلت بالحل السلمي . ولكـن الدكتور العظم يسارع ليحكم على ان الثورة الناصرية قد بدأت تسير في هذا الطريق ! ولذلك فهـو يرفض الارتباط بهـذه الثـورة . ويقدم بديـلا لها الثورة الفلسطينية .

* * *

ان الدكتور البيطار استاذ اجتمـاعي قدير ، وهو قد اطل على قضايا الثورة العربيـة باسلوب البـاحث العلمي ، المعتمـد اولا على رصيد من القراءات ، والمنطلق من افق نظري خالص . وهذا ما اخذه عليه المفكـرون الثوريـون المعانـون للتجارب العربيـة من داخلها .ولكن جهـد هذا المثقف الرزين، كـان دائمـا هو الجهد المفقود مـن الدراسـات الثورية العربيـة ، ولعل من اهم مزايا موقفه العلمي انه لم يحاول ان يتجاهل الدوافع الموضوعية المحركـة للثوريـة العربية ، ولم يتعال عليهـا ، ويرفضها كما فعل آخرون . واذا كان في مقاله الاخير ، الذي عرضنا لبعض زواياه ، قـد سعى الـى البرهنـة علـى بعض القيم الايجابيـة للثـورة الناصريـة بطريقته النظريـة الخاصة ، فليس معنى هذا انه عاجز عن التدليل علـى قيمهـا تلـك من خلال سياقها الجدلـي، وحركيتهـا الواقعية . والدكتور البيطـار نفسه يعرض في مفاصل كثيرة من مقاله الى ان افكاره تلـك محتاجة الى دراسات تفصيليـة اكثـر .

واذا كان ثمة اختلافات عديدة بيننا في المنطلـق

العسكرية الأميركية

دراسة في الاستراتيجية وصناعة الحرب

اول دراسة من نوعها تقـدم للمقاتـل العربي .. تفضح العسكريـة الاميركيـة وارتباط الرأسمال الاميركي مع المؤسسة العسكرية الاميركية ..

كتاب يجب ان يقرأه كل مواطن عربي حتـى يعرف الصورة الواضحة عن اعداء الامة العربية .

الناشر دار العودة - بيروت

ـ شارع مار منصور بناية بنك بيروت والبلاد العربية .

تليفون : ٢٣٦٤٠٧

النظري واسلوب العرض وسواه ، فان ذلك لا يمنع اي مفكر من الترحيب بالاراء الاخرى ، خاصة اذا استطاعت ان تغني رؤيتنا لموضوعاتنا المصيرية الاولى المشتركة .

ولعل اهم ما يخرج به القارىء لمقال البيطار الاخير هو قناعته بان حقائق الثورة العربية ليست بضاعة للسياسيين والمتأدلجين وحكرا لهم يبرزونها او يخفونها يعظمون منها او يضعفون من شأنها حسب رياح المصالح . فان هي انتصرت كانوا من اكبر دعاتها ، وان هي هزمت موقتا ، كانوا من اوائل الناعين لحياتها ، والمنذرين بدفنها .

وانها على العكس يمكن ان تصبح موضوعا لدراسة علمية تعطيها قيمتها الواقعية بدون مبالغة في السلب والايجاب .

* * *

ان صادق العظم في رده على البيطار ، وفي مجمل موقفه (الفكري ـ السياسي) يفترض موضوعة خطيرة ذات ثلاث نقاط . اولها ان الثورة المصرية لانها تتحمل مسؤولية الهزيمة في حربين متواليتين فهي ثورة عاجزة، والنقطة الثانية وهي انه لعجز هذه الثورة ينبغي على الثوريين ، والناصريين واعتن من فيهم ، على حد تعبير الكاتب ، ان يغيروا موقفهم منها ، اي ان يفكوا ارتباطهم بها . ولا ندري ان كان الكاتب يريد من هؤلاء الثوريين ان يقاوموها كذلك . والنقطة الثالثة هي ان هناك تعارضا نهائيا بينها وبين الثورة الفلسطينية . والثورة الفلسطينية هي البديل ، والثورة الناصرية هي المعيق للطريق الجديد .

ان هذه الموضوعة بنقاطها الثلاث ، وما يتفرع عنها من نتائج ، تعبر في الحقيقة عن رفض واضح للثورة الناصرية ، وتجعلها في موضع المتهم والمسؤول، بدون شرح للمبررات والبراهين ، سوى بعض الملاحظات الجزئية التي ينثرها الكاتب بروح المقال السريع العابر .

نحن لا نود ان نناقش مفاهيم العظم التي دأب على نشرها في مقالاته وكتبه ، اذ ان ذلك له مجال اخر ارحب . غير اننا نحدد البحث الان ببعض الملاحظات على ملاحظات العظم الواردة في مناقشته للدكتور البيطار .

اولا ـ فان هناك كثيرا من الاراء الواردة في عرض البيطار تصلح ردا مسبقا على ملاحظات العظم ، لو أعمل العظم نظره بها قليلا لشعر بانها جديرة بالانتباه والاهتمام ، فان البيطار قد ردد القول المعروف بان كل ثورة تحمل اخطاء ، وتتعرض لازمات داخلية ، بل قد ترتكب ما يناقض اهدافها ، وقد تسبب لذاتها ولامتها ما يقرب من حجم النكبات التاريخية العظمى ، ولكن ذلك كله قد لا يعني مثلا تقويض الثورة السوفيتية بجرم الستالينية ، ولا تهديم الثورة الصينية لمجرد انحراف البيروقراطية قبل الثورة الثقافية ، ما دام ان الثورة الكلية اصبحت مؤسسة اجتماعية تاريخية اتحدت بواقع شعبها ، واصبحت لها جدليتها الموضوعية التي تتولد فيها العوامل السلبية والايجابية معا ، وتسير حسب منطق الحركة التاريخية لواقع امتها وظروفها الدولية المحيطة بها . بحيث تصبح الاحداث والاشخاص رموزا في حركة اشمل منها .

ثانيا : ومن هنا فان المنطق الذي يريد ان يحمل شخصا معينا او حدثا محددا مسؤولية الكلية التاريخية، هو المنطق الانفعالي ذو النظرة التجزئية التي لا ترى من الكلية التاريخية الا وجهها المادي المباشر . ولعل خطأ الثوريين قبل النكسة انهم لم يكونوا يرون من الثورة المصرية الا رمزها الاول وهو شخصية زعيمها . واستمر خطأ الثوريين بعد النكسة فلم يروا مسؤولا عنها غير جمال عبدالناصر . وفي السابق كان التمجيد المطلق للزعيم وفي اللاحق اصبح التجريح المطلق واللوم الكامل للزعيم .

والانتقال من الضد الى الضد هو من أمراض الفكر العربي ، ومن انفعالياته المزمنة ، وهو ما كان حريا بالاخ صادق ان يتحاشاه ما دام قد آلى على نفسه نقد الامراض التخلفية في المجتمع العربي .

ثالثا ـ والمشكلة الثالثة التي يريدنا العظم ومن يقف موقفه ان ننجرّ لها ، هي ان نؤمن بالتناقض والتضاد ما بين الثورة الناصرية والثورة الفلسطينية ، والانطلب الثانية الا على حطام الاولى . وهذا ما يرفضه سياق الواقع الثوري نفسه ، كما يرفضه المنطق العلمي الهادىء ففضلا عن أن الواقع الثوري يثبت لنا يوميا وعلى مستوى الاحداث السياسية والحقائق الاجتماعية ان الثورة الناصرية لم تعصف بها الهزيمة ، ولم تلق بها خلف التاريخ لاسباب كثيرة ، ليس هنا مجال عرضها، فان الثورة الفلسطينية ، ومن داخل معاناتها ، وبدم شهدائها، لا تحس انها مضطرة الى الانفصال عن الثورة الناصرية، ومضطرة لمعارضتها لتحيا وتبقى ، بل ان حالات من التفاعل الايجابي والتكامل الطبيعي على مستوى الصراع اليومي مع اسرائيل ، تتابع يوميا بين القاهرة ومراكز القيادة الاساسية في الثورة الفلسطينية .

رابعا ـ ان الحل السلمي الذي يتصور العظم انه هو مقياس التفارق ما بين الثورتين ـ هذا ان كانتا ثورتين مختلفتين حقا ـ فان هذا المقياس في الواقع هو سياسي ومرحلي ، ولا يتناول التعارض ما بين بنية الثورة الناصرية والثورة الفلسطينية . فلا يمكن منذ الان ان نحكم بواسطة هذا المقياس المتغير المتبادل ، على مستقبل اللقاء ، او التناقض مابين هاتين الثورتين . وبالتالي لا يحق لنا ان نبشر منذ الان بحتمية هذا التعارض ، خاصة وان مشكلة الصراع العربي الاسرائيلي لا تؤذن بحل قريب . بل انها تتطور وتتفاعل لتصبح من المشكلات

الدولية المفتوحة التي لا يؤمل لها حل سلبي كله او ايجابي كله . وحتى لو فرض على العرب حل فان هذا الفرض ستتعرض له كلا الثورتين معا . وعند ذلك لا بد ان تنشأ ظروف اخرى ستمتحن اصالة الثورة العربية كلها ، بصرف النظر عن اشكالها المحلية وعناوينها .

خامسا — واذن ، فمن الخطأ البالغ اعتبار محنة الحل السلمي وما يشبهه تحديا للثورة الناصرية وحدها بدون الثورة الفلسطينية . ولو تعمقنا في دراسة المشاريع المتوالية التي تقدم باسم هذا الحل ، لوجدنا ان مواد هذه المشاريع تقترح تنظيمات شاملة للاوضاع العربية كلها على حدود الصراع مع اسرائيل سيكون لها اعمق الاثر على مشكلة التقدم العربي كله في مختلف اقطاره، والمقاومة الفلسطينية بقدر ما تصبح مقاومة عربية ، فانها ستفجر في الجبهات الامامية والخلفية ظروفا ثورية جديدة ، لا يمكن التنبوء بحدودها منذ الان .

ولكنها ستكون حلقة جديدة لتصاعد فعالية الثورية العربية بكامل طاقتها ، وضمن صور اخرى من الممارسة ، التي ستفيد حتما من كافة التجارب الثورية السابقة ، ومن ضمنها ولا شك تجربة الثورة الناصرية ، التي لم تعد ملكا لظرف معين او شخص بالذات ، بالرغم من الدور الاساسي الذي ما زال لزعيمها في حركيتها واشكال ممارساتها .

سادسا — فهل من المنطق الواقعي او النظري فصل الثورة الفلسطينية عن سياق الثورة العربية وعن محورها الاساسي الذي ما زال قاما حتى الان ، وهو تجربة الناصرية في عاصمتها ولدى اصدائها في مختلف اصقاع العالم العربي ؟ وبدلا من المناداة بفرض التناقض بينهما ، والدعوة الى استبدال ثورة باخرى،الا يصح ان نصب جهودنا الفكرية والنضالية لتعميق الصلة بين الثورتين بممارسة واعية لامكانيات كل منهما ، ووضعها في سياق من التأثير والتفاعل المتنامي بينهما ؟

ولا حاجة الان الى تعداد طاقات الجمهورية العربية المتحدة ، وتحليل دورها الحربي وسواه، ولكن احدا من الواعين لا يتمنى عزل هذه الدولة عن حركة الثورة الفلسطينية ، وابعادها عن حلبة الصراع مع العدو، او حلبة النمو الثوري العربي في جميع اقطاره . واذا كانت النكسة لم تبطل دور هذه الثورة نظريا وعمليا ،فهل علينا نحن ان نكمل عمل النكسة ، وان نبطل فعاليتها من اجل ولادة الثورة الجديدة ؟!

وهل ان الثورة الجديدة التي نأمل بها جميعا ،وليس العظم وحده ، مطالبة بان تنبت من الخواء والحطام لتكون جديدة ، ام ان ذلك مجرد نزق غضبي ، واثر من اثار رد الفعل على النكسة وآلامها ، التي خان الوقت للتفكير في مناخ آخر يتجاوز منطقة ردود فعلها الانفعالية ؟.

بقي ان مسألة الارتباط بثورة ٢٣ يوليو التي دعا اليها البيطار واثارت العظم وبقية المعارضين في مجلة (مواقف) ، والتي بقيت بدون تحديد لدى البيطار ،هي التي تحتاج الى شيء من الايضاح لا يمكن استكماله هنا ولكن يمكن ان نحدد لها مبدأ اوليا فنقول ان ما يحتاجه الوعي الثوري في مرحلتنا الحاضرة هو تقييم قوى الواقع العربي بحسب حجومها الحقيقية ، وايجاد صيغ التفاعل والتضامن بينها بحسب معطياتها الخاصة. فلدى الثورة الناصرية من تجاربها الكثيفة المتعددة ما يمنعها من محاولة فرض وصايتها على كل ولادة ثورية. كما ان لدى الطلائع الثورية الجديدة في المقاومة ، وسواها ، من الحس السليم ما يجعلها تبتعد عن طلب الابوة ممن يكبرها ويسبقها .

والمطلوب اليوم بدلا من صراع الالغاء المتبادل بين مختلف القوى الثورية ، الذي انهك المراحل السابقة واجهض امكانياتها ، وبدلا من فرض وصاية ابوة من كبير على صغير ، او ارتماء صغير على كبير لاستجداء وصاية وحماية ، بدلا من كل ذلك يجب اطلاق حرية التجربة والممارسة لكافة هذه القوى امام الاهداف المشتركة ، ابتداء من معركة المصير مع اسرائيل، الى معركة التغيير التقدمي والوحدوي في العالم العربي كله .

غير ان حرية التجربة ينبغي الا تتنافى مع امكانية التنسيق والتعامل من خلال الجبهات فذلك وحده هو الذي ينقل مناخ التقدم الثوري الى مجال الحركية الموضوعية ، ويجعل لكل قوة ثورية مكانها ودورها بحسب تأثيرها الحقيقي في مجال التغيير المطلوب .

واذا ما ابتعد بعض المثقفين والثوريين الجدد عن منطق الصراعات الفئوية والجانبية ، وكافحوا في انفسهم اغراء الاثارة ومنطقها الطفولي، وركنوا الى تواضع العمل الصامت المنتج، ومارسوا موضوعية النقد والنقد الذاتي ، اذن لتكاملت ممارستنا الثورية ولاخذ الثوري القديم من حماس الثوري الجديد ونظراته الجديدة ، ولاستند الثوري الجديد الى ما يناسبه من حصيلة التجارب السابقة ، ولكان لنا جميعا سياق حركي متكامل لا يلغي بعضه بعضا ، ولا يضيع في متاهات الفعل ورد الفعل الآنيين .

مطاع صفدي

لجميع مطبوعاتكم :

بيروت — تلفون : ٢٣٠٥١٢